المجلد(٦) العدد (٣) ملحق (٣) (آب) ٢٠٢٤م – ١٤٤٦هـ
عدد خاص بنشر بحوث المؤتمر بعنوان (مستقبل الأداء الأكاديمي في ضوء أبعاد التنمية المستدامة) المنعقد حضورياً في بغداد
بتاريخ ٦/ ٧(تموز) /٢٠٢٤م.

نماذج سيميائية للفرح والبهجة والسرور في القرآن الكريم

م. م. حيدر خزعل فهد عكاب
المديرية العامة لتربية ذي قار
الايميل p888p0@gmail.com :

الملخص:

الفرح ورد في اثنين وعشرين موضعا في القرآن الكريم ، في حين ورد السرور في أربعة مواضع فقط ، وقد تعددت أنواع الفرح والسرور في القرآن وتنوعت إشارات النص القرآني لهذا الشعور الإنساني. وقد اخترت المنهج السيميائي لدراسة تمظهرات الفرح والسرور في القرآن الكريم ، وذكرت الأسباب التي دعتني لذلك في أثناء البحث ، ولعل من أهم هذه الأسباب هو أن المنهج السيميائي يعتمد في تحليله للنصوص أسسا منهجية وعلمية دقيقة ورصينة ، ولا مجال للأهواء فيها، كما أنه يعمل على رصد العلامات والإشارات وطريقة نظمها في النص ، بعده مكونا لغويا ، بوساطة دراسة العلاقة بين الدال والمدلول ، وهذا ما يؤكد أن المنهج السيميائي لا ينحاز إلى اللغة الأدبية فحسب ، بقدر ما يمكنه معالجة كثير من القضايا اللغوية بطريقة علمية ودقيقة . والبحث انقسم على قسمين : تناول الأول دراسة الفرح والبهجة في القرآن الكريم، في حين تناول القسم الثاني دراسة السرور في القرآن ، وكان لكل من الفرح والسرور أسبابه وأنواعه التي أشار إليها النص القرآني.

الكلمات المفتاحية (الفرح , السرور , الغرور , الطيش , الكره)

Semiotic models of joy, joy, and happiness in the Holy Qur'an

M.M. Haider Khazal Fahd Akab
Ministry of Education - Dhi Qar Education Directorate
Email: p888p0@gmail.com

Abstract:

Joy is mentioned in twenty-two places in the Holy Qur'an, while happiness is mentioned in only four places. There are many types of joy and pleasure in the Qur'an, and the Qur'anic text's references to this human feeling are varied. I chose the semiotic approach to study the manifestations of joy and happiness in the Holy Qur'an, and I mentioned the reasons that prompted me to do so during the research. Perhaps the most important of these reasons is that the semiotic approach relies in its analysis of texts on precise and solid methodological and scientific foundations, and there is no room for whims in it. It also works to monitor Signs and signs and the way they are organized in the text, after which it is a linguistic component, through the study of the relationship between the signifier and the signified, and this confirms that the semiotic approach is not only biased towards literary language, as it can address many linguistic issues in a scientific and accurate manner. The research was divided into two parts: the first dealt with the study of joy and joy in the Holy Qur'an, while the second section dealt with the study of pleasure in the Qur'an, and each of joy and pleasure had its causes and types indicated by the Qur'anic text.

Keywords (joy, pleasure, vanity, recklessness, hatred)

المقدمة:

كثيرة هي الأسباب التي تجعل الإنسان فرحا ومسرورا، وتبعا لهذه الأسباب فإن الإنسان ينفعل ليفرح ويزهو ويسر بما يصيبه من النعم ومن متع الحياة ومباهجها ، ولاشيء خارج عن عادة الإنسان في هذا الأمر، ولا وجود لأي محذور شرعي في ذلك ، سواء أكان على نحو الحرام أم المكروه ، إلا أن المحذور الشرعي، والأمر الذي لا يرضي الباري جل شأنه هو أن يعمل انفعال الفرح والسرور على إخراج الإنسان عن العرف الديني والأخلاقي والاجتماعي ومن ثم يهبط بالإنسان عن مستواه الديني والأخلاقي الذي أراده الله له ، فيصاب بالكبر والغرور والطيش ، ومن ثم يقع في أتون الحرام وأحضان الشيطان. ورد الفرح في اثنين وعشرين موضعا في القرآن الكريم، في حين ورد السرور في أربعة مواضع فقط ، وقد تعددت أنواع الفرح والسرور في القرآن وتنوعت إشارات النص القرآني لهذا الشعور الإنساني . وقد اخترت المنهج السيميائي لدراسة تمظهرات الفرح والسرور في القرآن الكريم ، وذكرت الأسباب التي دعتني لذلك في أثناء البحث ، ولعل من أهم هذه الأسباب هو أن المنهج السيميائي يعتمد في تحليله للنصوص أسسا منهجية وعلمية دقيقة ورصينة ، ولا مجال للأهواء فيها ، كما أنه يعمل على رصد العلامات والإشارات وطريقة نظمها في النص ، بعده مكونا لغويا ، بوساطة دراسة العلاقة بين الدال والمدلول ، وهذا ما يؤكد أن المنهج السيميائي لا ينحاز إلى اللغة الأدبية فحسب ، بقدر ما يمكنه معالجة كثير من القضايا اللغوية بطريقة علمية ودقيقة. انقسم البحث على قسمين: تناول الأول دراسة الفرح والبهجة في القرآن الكريم، في حين تناول القسم الثاني دراسة السرور في القرآن، وكان لكل من الفرح والسرور أسبابه وأنواعه التي أشار إليها النص القرآني، والتي سوف نفصل الحديث فيها في أثناء البحث. ثم انهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها. فالإنسان، هذا الكائن الذي خلقه الله جل شأنه؛ ليكون خليفته في الأرض، الإنسان هذا مجموعة من الانفعالات وقد رأى بعض علماء النفس أن الإنسان يحوي مجموعة من الانفعالات الأصلية أو الأساسية، وهذه الانفعالات هي الفرح والحزن والحب والكره والرغبة والتعجب (١).

إن الفرح والحزن انفعالان أساسيان ورئيسان عند الإنسان، وهما متناقضان في الوقت نفسه، فلا يمكن أن يجتمعا عنده في وقت واحد . والإنسان عبر مسيرة حياته التي يعيشها لا يخلو من أن يكون فرحا أو حزينا، فإن حصل على مبتغاه وما يتمناه نجده فرحا مسرورا، حتى يكاد الفرح يخرجه عن اتزانه ويؤدي به إلى ما لا يحمد عقباه. وإن أصابته مصيبة، أو أخفق في أمر معين نجده حزينا كئيبا ذا وجه عبوس، حتى يكاد الحزن والجزع يخرجه عن طوره وعن إيمانه، فالأمور المفرحة كثيرة والكل يسعى إليها ، والأمور المحزنة كثيرة أيضا والكل يهرب منها . وهنا تبرز أمامنا أسئلة ثلاثة مفادها : لماذا لا يحصل الإنسان على الفرح وهو يسعى إليه جاهدا ، ويحرص على الحصول عليه ؟ ولماذا يقع في أتون الحزن والشقاء وهو يهرب منه أشد الهرب ؟ وهل ظهر الفرح والحزن في القرآن الكريم ليعالجهما ، وليوجههما التوجيه الصحيح الذي لا يخرج الإنسان عن اتزانه ودينه وأخلاقه ؟ ولاسيما إذا ما أدركنا أن الفرح والحزن

لا يخلوان من آثار سلبية إذا بنيا على أساس غير صحيح. وفي ذلك يقول ديكارت : ((إن انفعالي الفرح والحزن حين يكونان متساويين في الاستناد إلى أساس خاطئ، فإن الفرح في العادة يكون أشد ضررا من الحزن ؛ لأن هذا الأخير حين يلزمنا جانب التحفظ والتخوف يعدنا بطريقة ما إلى الحيطة والحذر، في حين أن الآخر يجعل الذين يستسلمون له جسورين وغير مبالين)) (٢).

انطلاقا من التساؤلات التي مرت ، ولكي نحاول أن ندرس تمظهرات الفرح والسرور في القرآن الكريم وإشارات هذا النص المعجز لهذا الانفعال المهم عند الإنسان ، نقول : انطلاقا مما تقدم فإن دراستنا هذه سوف تتركز على دراسة الفرح والسرور في القرآن الكريم دراسة سيميائية ، مرجئين دراسة الحزن إلى بحث قابل إن شاء الله تعالى. وقد اخترنا المنهج السيميائي لها ؛ وذلك لأسباب عدة نراها تحمل جانبا من الأهمية والموضوعية ، فالسيميائية (هي بحث في المعنى لا من حيث أصوله وجوهره ، بل من حيث انبثاقه عن عمليات التنصيص المتعددة ، أي بحث في ، في أصول السميوز) (السيرورة التي تنتج وفقها الدلالات ، وأنماط وجودها باعتبارها الوعاء الذي تصب فيه السلوكيات الإنسانية) (٣) ، ومن ثم فإن السيميائية لا تدرس وتحلل العلامات منفردة بل تدرسها في سياقها الذي تكتسب بوساطته معنى جديدا غير معناها التقليدي.

من جانب آخر فإن السيميائيات في معناها الأكثر بداهة ليست شيئا آخر سوى تساؤلات حول المعنى. إنها دراسة للسلوك الإنساني بوصفه حالة ثقافية منتجة للمعاني. ففي غياب قصدية صريحة أو ضمنية – لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا، أي مدركا بكونه يحيل على معنى (٤) كما أن السيميائيات لا تبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الإنسانية، إن السيميائيات بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلاك ، مع كل ما يترتب عن ذلك من تصنيفات تطال الدلالة كما تطال السلوك الإنساني ذاته (٥).

إن المنهج السيميائي من مناهج ما بعد البنيوية وهي المناهج التي ترفض مبدأ انغلاق البنية وموت المؤلف، وبهذا المعنى فإن تطبيق هذه المناهج على النصوص الدينية، ولاسيما النص القرآني المعجز لا يمثل تهديدا أو تجرؤا عليها – فيما نرى بل على العكس من ذلك فإن بعضا من هذه المناهج تساعد على إبراز مكنونات تلك النصوص، وإظهار سماتها الخاصة، والتي تتماز بها عن غيرها من النصوص. إن توظيف المناهج النقدية الحديثة ولاسيما المنهج الأسلوبي والسيميائي والتفكيكي ، في دراسة النصوص الدينية وتحليلها له أهمية كبيرة ، وتتأتى هذه الأهمية من الآليات المتعددة التي تتوافر عليها هذه المناهج، ومن الدقة في تحليل النصوص، ومن الشمولية التي تحاول أن تستكنه جميع المستويات في النصوص المدروسة بدء من المستوى الصوتي فالمستوى الصرفي والمستوى التركيبي ثم الدلالي ، فضلا عن دراسة العلامات و الإشارات وأنظمتها في النصوص ، ودراسة المعاني التي يمكن تتمظهر عبر هذه العلامات ، ودراسة الأنظمة التي تشكلت على وفقها النصوص المدروسة.

كل هذه الأمور، وغيرها مما لا يسع المقام للتوسع في ذكرها ، نراها تحمل من الأهمية والدقة والشمولية والسعة ما يشجعنا على توظيف هذه المناهج في دراسة النصوص الدينية، ولاسيما القرآن الكريم ، ولا نرى في هذا التوظيف محذورا – شرعيا أو أخلاقيا أو عرفيا ؛ لأن هدفنا خدمة هذه النصوص والتعمق في الحفر فيها ، من أجل الوصول إلى المواصفات التركيبية لها ، والوصول إلى القراءة الدقيقة التي تتجلى عبر دراسة المستويات المختلفة، وعبر تحليل علامات النصوص المدروسة – وإشاراتها ورموزها ، وإظهار معانيها المتعددة وأنظمتها الداخلية.

وبناء على ما تقدم فإننا نستغرب من وجود اتجاه في الدراسات النقدية يرفض توظيف المناهج النقدية الحديثة في دراسة النصوص الدينية. نعم قد يوجد منهج معين أو أكثر لا يصلح للتطبيق على دراسة هذه النصوص، كنظرية التلقي مثلا، والتي تعتمد على مبدأ ملء فجوات النص من المتلقي، فالمتلقي لن يستطيع فهم النص وإظهار جمالياته وتوضيح دلالاته إلا بعد أن يفترض أن النص مليء بالفجوات، ومهمته ملء هذه الفجوات؛ لتتضح دلالة النص ويستقيم معناه. والنصوص الدينية تتعالى عن ذلك. أما بقية المناهج، ولاسيما التي ذكرناها فيما مضى فإن تطبيقها على هذه النصوص يظهر دقة هذه النصوص وفرادتها وخصائصها التي تتميز بها، وتنفرد بها عن غيرها من النصوص الأخرى. وفي ذلك يقول أحد النقاد المحدثين : وبظهور المناهج الحداثية استكمل لكتاب الله أن يدرس بعمق وغورية ، وبرؤى معرفية كشفية قمينة أن تستجلي مظاهر الجمالية المتعلقة بمعماريته المحكمة، وسرده المتنوع، وإيقاعه العبقر)(٦).

ولعل السيميائية تقف موقفا متوسطا بين هذه المناهج فهي بنيوية من حيث إنها تقوم على رصد العلاقات النصية، وهي سياقية من حيث إنها تسعى للكشف عن سياق العلامات ودلالاتها في الثقافة والمرجع والوجود ، وهي أبستمولوجية من حيث إنها تقدم تفسير الإنتاج المعنى) (٧).

تقوم السيميائية في تحليلها للنصوص على أسس منهجية وعلمية لا مجال للأهواء فيها ، إذ يعمل التحليل السيميائي على إجراء تقطيع النص إلى وحدات صغرى : طلبا للمنهج العلمي الذي أصبح منهجية في عملية البحث من جهة، وتحقيق الانسجام بين مكونات العلم من جهة أخرى)) (٨) .

ولا يقتصر التحليل السيميائي على مجرد تقطيع النص إلى وحداته الصغرى ، والوقوف على عناصره المنفردة بل يعنى كثيرا بما ينظم هذه العناصر ويؤلف بينها في إطار يمنحها الشكل والدلالة الخارجية المكونة من تعاضد هذه العناصر (٩).

وبهذا فإن مهمة المحلل السيميائي تنضب في اكتشاف شبكة العلاقات القائمة في مستوى القرائن، وذلك بغية تحويلها هي بذاتها إلى دلالة أخرى تغطي على الدلالات السوالف ، وربما تتجاوزها فتسكن بها في مراكن العبور (١٠).

فضلا عما تقدم فإن المنهج السيميائي يرنو إلى – رصد العلامات والإشارات ونظمها في النص، بعده مكونا لغويا ، بوساطة دراسة العلاقة بين الدال والمدلول ، وهذا يؤكد أن السيميائية لا تنحاز إلى اللغة الأدبية فحسب، بقدر ما يمكنها معالجة الكثير من القضايا اللغوية، وعبر هذه المعالجات تستقي آليات جديدة تنقل من حقل إلى حقل آخر من أجل التفسير والتحليل ، واظهار السمات التي يحويها النص المدروس.

الفرح في القرآن الكريم :

الفرح : هو انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللذات البدنية)) (١١) ، وهو الابتهاج والسرور (١٢) . وقد ورد ذكره في اثنين وعشرين موضعا في القرآن الكريم، وانمازت هذه المواضع بأنها أشارت سيميائيا إلى نوعين من الفرح ، هما الفرح المذموم والفرح المحمود ، ولهذا فإننا نرى من الممكن التعامل مع هذه الإشارات، والرموز تعاملا سيميائيا ، عبر تقسيمها في تمفصلين رئيسين وتعد هذه بمثابة حقول دلالية تفيدنا في معرفة الإشارات التي تنطوي عليها الآيات التي ورد فيها ذكر الفرح، ولاسيما إذا ما رأينا أن من سبقنا من المفسرين قد أشاروا إلى هذين النوعين من الفرح. قال صاحب تفسير التبيان فإن قيل : كيف جاء الأمر للمؤمنين بالفرح ، وقد ذم الله ذلك في مواضع من القرآن كقوله : (إن الله لا يحب الفرحين وقال : (إنه لفرح فخور وغير ذلك ؟ قيل: أكثر ما جاء مقترنا بالذم من ذلك ما كان مطلقا، فإذا قيد لم يكن ذما كقوله: يرزقون فرحين، وفي الآية مقيد بذلك. فأما قوله: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله فإنه مقيد ومع ذلك فهو مذموم، لكنه مقيد بما يقتضي الذم، كما جاء مقيدا بما لا يقتضي الذم فمطلقه يقتضي الذم ومقيد بحسب ما يقيد به، فإن قيد بما يقتضي الدم أفاد الدم، وإن قيد بما يقتضي المدح أفاد المدح. فأما قوله: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وقوله: ويومنذ يفرح المؤمنون بنصر الله والفرح بنصر الله للمؤمنين محمود كما أن القعود عن رسول الله بالتقييد في الموضعين مذموم)) (١٣)، وقال صاحب التفسير الأمثل: ((وقد يكون الفرح ممدوحا ومطلوبا في بعض الأحيان، كما تفيد الآيتان (٤) و (٥) من سورة الروم في قوله تعالى: (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. وفي بعض الأحيان يكون الفرح مذموما وباطلا، كما ورد في قصة قارون، الآية (٧٦) من سورة القصص إذ نقرأ قوله تعالى: ((إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين طبعا ينبغي التفريق بين الموردين من خلال القرائن)) (١٤).

بناء على ما تقدم فإننا سوف نقسم الفرح في القرآن الكريم سيميائيا على قسمين رئيسين وتمفصلين مستقلين، ولكل تمفصل وحدات سيميائية خاصة به، ومن الممكن أن نجسدها كما يأتي: – (الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم). (الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود).

١– الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم.

قلنا فيما مضى : إن الفرح في القرآن الكريم تمظهر في اثنين وعشرين موضعا ، إلا أن الأمر الذي يثير الانتباه هو أن الوحدات السيميائية التي أشارت إلى الفرح المذموم كانت ثماني عشرة وحدة سيميائية ، في حين كان عدد الوحدات السيميائية التي أشارت إلى الفرح المحمود أربع وحدات فقط ، ولعل السبب في ذلك – والله أعلم – هو أن الله تعالى ذكر أنواعا مختلفة من الفرح المذموم ، وذكر بواعث مختلفة لهذا الفرح بوساطة تعدد الوحدات السيميائية، وتنوع مداليلها واختلاف معانيها التي تشير إليها ، والقصد والهدف القرآني من ذلك هو تحذير الناس من الانشغال بهذا النوع من الفرح ؛ لأنه فرح يبعث على الغرور والسفه والتكبر والطيش واللامبالاة ، وبذلك يبعد الإنسان عن السراط المستقيم والطريق القويم الذي اختطه وأراده الله تعالى له في رحلته الدنيوية نحو الآخرة.

إن كثرة ذكر الفرح المذموم ، وذكر بواعثه قياسا إلى الفرح المحمود جاءت لتنفير الناس من هذا النوع من الفرح وإبعادهم عنه ، في حين إن الفرح المحمود لا يحتاج إلى أن تكون نصوصه وعلاماته السيميائية بكثرة علامات الفرح المذموم ؛ لأن الله تعالى حينما فصل الحديث عن الفرح المذموم ، فإنه وجه أنظار الناس إلى ضده، وهو الفرح المحمود ورغبهم به ، فبضدها تتميز الأشياء.

إن الله سبحانه لم يمنع الإنسان من الفرح، بل أراده أن يفرح بشرط أن يكون فرحه راجحا من الناحية الشرعية، وفيه رضاه عن ذكره. إنه أراد من الإنسان أن يبحث عن الفرح في نهايات الأمور لا في بداياتها، وفي عمق المواقف، لا في ظواهرها، وأن يعيشه عبر عمل الخير وروح الإيمان والصلاح وانفتاح العقل والقلب والحياة على الله سبحانه (١٥).

إن محاولة إنعام النظر في الوحدات السيميائية التي أشارت إلى الفرح المذموم، ومحاولة استكناه إشارات الآيات الكريمة إلى الفئات التي انمازت بهذا النوع من الفرح يجعلنا نقسم هذه الوحدات إلى أقسام عدة هي:

أ – الوحدات السيميائية الدالة على فرح الكافرين والمنافقين.

بلغ عدد هذا النوع من الوحدات عشر من أصل ثماني عشرة وحدة، وهو عدد كبير، ففي هذه الآيات رموز وإشارات تدل بنفسها وبسياقها على هذا النوع من الفرح الذي ذمه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إن العلامة في السيميائية لا تعني مجرد الأيقونات والرموز والإشارات، بل ما يتكون من تفاعل هذه العناصر وترابطها بعلاقات مختلفة تنشئ دلالات متعددة في سياق النص. وكان الفرح واحدا من علامات النص التي دلت على فرح الكافرين والمنافقين، والذي ظهر بأشكال متعددة في النص القرآني فتارة نجدهم يفرحون بالحياة الدنيا (١٦) وأخرى نجدهم يفرحون بما عندهم من النعم (١٧)، وثالثة يفرحون بما يصيب المؤمنين من مصائب (١٨) . وهكذا يتعدد فرحهم بتعدد مسبباته وموجباته.

من الآيات التي أشارت سيميائيا إلى فرح الكافرين قوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبيئات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) غافر / ٨٣) ففي فعل الفرح عدة إشارات ومعان، منها

فرح الكفار بما عندهم من العلم، أي بما كان عندهم إنه علم، وهو جهل على الحقيقة؛ لأنهم قالوا: نحن أعلم منهم، لا نبعث ولا نعذب، واعتقدوا أنه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم .... عن الحسن ومجاهد، وقيل: معناه فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه وأعجبوا به وظنوا أنه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك. قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب)) (١٩)، ويمكن أن تكون الإشارة إلى علمهم على أنه يشمل (علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله صغروا علم الأنبياء إلى علومهم. وعن سقراط إنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له: وهاجرت إليه، فقال: نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا، ويجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ... فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزأوا بها)) (٢٠)، وبذلك تتعدد دلالات فعل الفرح عند الكافرين. وقد احتمل قسم من المفسرين (٢١) أن فعل الفرح في الآية السابقة فيه إشارة إلى فرح الرسل بما عندهم من العلم، إلا أن سياق الآية من جهة، وختامها بقوله تعالى: وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فيه دليل على أن الفرح في الآية فيه إشارة واضحة إلى فرح الكافرين واستهزائهم بالرسل، ومن ثم عاقبة فعل الاستهزاء هذا عليهم في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

يشير قوله تعالى : (إن تصبك حسنة تسوهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) (التوبة ٥٠) إلى فرح الكافرين والمنافقين بما يصيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين من مصائب ومحن مختلفة، وفي هذا الفرح دلالة على سوء نيات الكافرين ، وشدة بغضهم وعداوتهم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين ، وما فرحهم هذا إلا بيان لطبائعهم البغيضة ، وبيان لاستهزائهم وشماتتهم بالمسلمين فهم يتمنون المصائب للمسلمين ويفرحون بها في الوقت الذي يفتخرون فيه بأنهم قد أخذوا الحيطة والحذر، واحترزوا من المصيبة التي وقعت على المسلمين . فأي بغض وأي عداء ذلك الذي يفرح الكافرين بما يصيب المسلمين؟ وأي فرح ذلك الذي يتجسد عند هذه الفئة من الناس؟

في الآية الخامسة والسبعين من سورة غافر، يخاطب سبحانه الكافرين ويشير إلى ضلالهم؛ بسبب فرحهم ومرحهم في الحياة الدنيا، ثم يذكر مصيرهم في الآخرة، وهو الخلود في جهنم إذ يقول تعالى: (كذلك يضل الله الكافرين سلطان ذلكم بما كنتم تقرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمزحون سلطان ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) (غافر / ٧٤-٧٦).

ثمة سؤالان نراهما على درجة كبيرة من الأهمية يفرضان نفسيهما في هذا المقام مفادهما: هل أن مصير من يفرح ويمرح في الحياة الدنيا هو جهنم، بل الخلود في جهنم؟! وهل الفرح والمرح مكروهان عند الله عز ذكره إلى هذه الدرجة بحيث يكون مصير المتصف بهما هذا المصير المأساوي؟ وللإجابة عن هذين السؤالين لا بد لنا من النظر إلى علامات النص نظرة سيميائية دقيقة، فقد ظهر الفرح مقيدا في الآية الكريمة، إذ يقول تعالى: (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق)) ففي هذا النص نرى أن الفرح

المذموم، والذي يكون عاقبة من يتصف به الخلود في جهنم، هو الفرح بغير الحق، وليس مطلق الفرح ومن مصاديق الفرح بغير الحق أنهم كانوا يفرحون بمعارضة الأنبياء وقتل المؤمنين والتضييق على المحرومين، وكانوا يشعرون بالعظمة عند ارتكاب الذنوب وركوب المعاصي) (٢٢). أما الفرح بالحق فهو فرح مباح للناس ولا إثم عليه، شريطة ألا يخرج الفرح صاحبه عن حدود الدين والآداب العامة.

أما المرح فقد أشارت علامات النص إلى أنه مرح مطلق وليس مقيدا بقيد معين كالفرح ، وفي ذلك دلالة سيميائية على أن المرح بجميع أنواعه يؤدي بصاحبه إلى هذا المصير المأساوي المظلم في الآخرة ؛ لأن المرح لا يكون إلا باطلا (٢٣) ، بينما قد يكون الفرح بالحق أو بالباطل بحسب متعلقه ، وكلمة المرح هذه فيها إشارات سيميائية متعددة كما يرى اللغويون والمفسرون ، فقد تأتي بمعنى شدة الفرح والتوسع فيه ، وقال آخرون : إنها تعني الفرح بسبب بعض القضايا الباطلة ، في حين ذهبت جماعة ثالثة إلى وصفها حالة من الفرح المتزامن مع نوع من الطرب والافادة من النعم الإلهية في طريق الباطل) (٢٤) ، وتأتي بمعنى أشر وبطر واختال) (٢٥) ، وتأتي بمعنى الاختيال والتبختر (٢٦) الذي لا يليق بالإنسان لذلك وجدناه غير مقيد بقيد ؛ لأن جميع معانيه تدل على الخروج عن حدود الدين التي أرادها الله لعباده ، وللسبب نفسه وجدنا أن عقوبته ، هو والفرح الباطل ، الخلود في نار جهنم وأي مصير أسوأ من هذا المصير ؟

ينهى الباري عز ذكره عباده عن الفرح بما يصيبهم في مسيرتهم الدنيوية فيقول : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد /٢٢-٢٣)، ولعل قارئ الآية للوهلة الأولى يظن أن الله ينهى عباده عن كل أنواع الفرح في الدنيا ، إلا أن إنعام النظر في الوحدات السيميائية التي تشكل ذيل الآية (والله لا يحب كل مختال فخور وربطها بفعل الفرح المنهي عنه ((لا تفرحوا تظهر لنا أن الفرح المقصود بالنهي هنا هو الفرح المذموم الذي يخرج صاحبه عن دينه وأخلاقه، ويلهيه عن شكر نعم الله التي من موجبات الفرح بها شكر الإله عليها ، وبهذا يكون الفرح المقصود بهذه الآية هو الفرح الموجب للاختيال والفخر والبطر والعجب بالنفس بـ ، لا الفرح المحمود الموجب الشكر الخالق على آلائه التي أنعمها على عباده والله أعلم. ب الوحدات السيميائية الدالة على فرح الأمم السابقة.

بلغ عدد هذا النوع من الوحدات ثلاث (٢٧)، وقد أشارت هذه الوحدات إلى فرح الأمم السابقة وأصحاب الديانات والمذاهب المختلفة، بما عندهم، وبما يعتقدون من اعتقادات تخص أديانهم ومعتقداتهم. ومن الآيات التي تدل على فرح الأمم السابقة بما أتاهم الله من الخير والنعم الكثيرة قوله تعالى في بيان أخبار هذه الأمم إلى رسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم

الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) (الأنعام / ٤٤٤٢) فالآيات الكريمات بصدد إخبار الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأخبار بعض الأمم الماضية ومخالفتهم رسل الله ، وعنادهم ، وقسوة قلوبهم ، وتزيين الشيطان لأعمالهم ، فقد انهمكوا وانشغلوا بهذه الأعمال الباطلة ، ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ، فلما نسوا ذلك فتح الله عليهم أبواب كل شيء من النعم والخيرات والرزق الكثير لعلهم يشكرون آلاءه عليهم ، ولكنهم بدل شكر آلاء المنعم عليهم فرحوا فرحا كبيرا معجبين بحالهم التي ألوا إليها ، فكان فرحهم هذا مذموما ؛ لأنه فرح المختال الفخور البطر بما أصابه من خير ، لا فرح المؤمن الشاكر لأنعم الله ، فما كان جزاء فرحهم هذا إلا أن أخذهم الله بغتة وفجأة ، ليكون هذا الأمر أشد وطأة عليهم ، مما سبب لهم اليأس والحيرة والخوف من مصيرهم الذي ينتظرهم، وهو قطع دابرهم ، بحيث لم يبق منهم أحد يذكر . وهذا ما أشارت إليه الآية اللاحقة لهذه الآيات.

يذكر سبحانه وتعالى في سورة (المؤمنون) إرسال رسله تباعا إلى الأمم السابقة، ويذكر موسى (عليه السلام) وأخاه هارون، ثم يذكر عيسى وأمه (عليهم السلام) ثم يقول: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) المؤمنون / ٥٣٥٢، فالآيات الكريمات توصي أتباع الأديان المختلفة بأن يكونوا متفقين وموحدين ومجتمعين على أمر الله ودينه ، وعلى توحيده سبحانه، وأن لا يقع منهم أي اختلاف ، إلا أنهم مع هذه التوصية جعلوا من شدة اختلافهم فيما بينهم الدين الواحد أديانا ومذاهب شتى.

وزيرا أي قطعا قطعا: إن الآيات تصف المجوس واليهود والنصارى والصابئين ومشركي مكة بهذه الأوصاف (٢٨) ثم تضيف: كل حزب بما لديهم فرحون. ولعل تأمل معنى الاسم (فرحون) سيميائيا ، واستكناه سياق الآيات يجعلنا نصنف هذا الفرح ضمن الفرح المذموم ؛ لأنه مثل فرح الأمم السابقة والأديان المختلفة، باختلافها فيما بينها لا بائتلافها مع بعضها في عبادة الواحد الأحد ، وهو فرح ذاتي وأناني يحلم بالانتصارات الحزبية الفئوية العدوانية والضيقة، وليس فرحا روحيا منطلقا من مواقف رسالية ودينية حريصة على توحيد الخالق وعبادته، فكل فريق من هؤلاء فرح بما اتخذ دينا لنفسه ، معجب أشد العجب بنفسه وبدينه الذي اتخذه ، ويرى نفسه بأنه هو الحق الصريح الفائز ، وغيره هو الباطل الخاسر ، فأي فرح هذا الذي يجعل الإنسان يقول بصحة دينه بينما يعمل على تكفير الآخرين ؟

ج الوحدات السيميائية الدالة على فرح اليهود.

ورد هذا النوع من الفرح في آيتين في القرآن الكريم (٢٩)، وفيه إشارة إلى فرح اليهود بما يصيب المسلمين من مصائب ورزايا ومحن مختلفة، فضلا عن فرحهم بما فعلوه من أعمال يعتقدون أنهم يستحقون الحمد والثناء عليها. قال تعالى: (لا تحسين الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم: آل عمران (١٨٨)

نزلت هذه الآية لتستنكر أعمال اليهود، ولتوبخهم على أفعالهم التي اقترفوها، فقد روي عن ابن عباس وسعيد أن الآية نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون بإجلال الناس لهم ونسبهم إياهم إلى العلم. وقال الضحاك والسدي: نزلت في اليهود إذ فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم. وقال سعيد بن جبير: فرحوا بما أتى الله آل إبراهيم. وقال ابن عباس: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سألهم عن شيء فكتموه ففرحوا بكتمانهم)) (٣٠)، وأيا كان سبب فرحهم فإن الآية الكريمة تشير سيميائيا بوساطة الفعل المضارع المتصل بواو الجماعة يفرحون إلى فرح اليهود المذموم، فقد شكلت هذه العلامة يفرحون) رمزا مهما من رموز النص التي تظهر صفة ذميمة من صفات اليهود هي صفة الفرح بما يفعلونه من الموبقات والأعمال السيئة، ففي الوقت الذي نرى فيه المؤمنين يفرحون بما أتاهم الله من فضله، فإننا نرى في الوقت عينه فرح اليهود

بأعمالهم القبيحة، والأولى بهم أن يخجلوا منها ويستغفروا الله على اقترافها، لا أن يفرحوا بها؟ لذلك يرهبهم سبحانه بأن لهم العذاب الأليم في الآخرة؛ جزاء على فرحهم هذا، وأعمالهم السيئة الأخرى في دار الدنيا.

د. الوحدات السيميائية الدالة على فرح قارون.

قال تعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوع بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) القصص / ٧٦).

ورد ذكر الفرح في موضعين في الآية الكريمة ومن هنا يظهر لنا أن الفرح شكل حضورا واضحا في سياق الآية، وكان مفعلا لدينامية النص فقد كان نواة محورية في حقل الوحدات السيميائية الدالة على الصفات التي اتصف بها قارون، ومن الصفات المهمة صفة الفرح التي ظهرت عبر الفعل المضارع المسبوق برلا الناهية الجازمة (لا تفرح)، وعبر المفعول به (الفرحين).

كان فرح قارون من الفرح المذموم الذي يؤدي بصاحبه إلى الغرور والتكبر على الآخرين والاستهزاء بهم ، والبطر على أنعم الله ؛ لذلك نرى المؤمنين من بني إسرائيل ينصحونه وينهونه عن هذا النوع من الفرح ؛ لأن الله تعالى لا يحب الفرحين الذين اتصفوا به ، وبهذا يظهر لنا أن المراد من الفرح في هذه الآية ، ليس الفرح المباح والحالة الطبيعية من السرور الذي يحصل للإنسان ؛ لأن هذا ليس أمرا سينا في حد ذاته ، بل المراد به الفرح المذموم الذي يؤدي بصاحبه إلى شدة الإفراط في انفعالاته وخروجه عن جادة الحق، والتعلق بمتاع الحياة الدنيا وزخارفها ، الذي يؤدي إلى الخيلاء والتفاخر والتكبر ، وهذا ما يبغضه الله في الإنسان ، ولا يحب لعبده أن يكون على هذه الحالة ؛ لذلك ختمت الآية بقوله : ((إن الله لا يحب الفرحين)).

هـ فرح أهل سبأ:

ظهر هذا الفرح في سورة النمل، حينما سرد لنا القرآن الكريم قصة سليمان (عليه السلام) وبلقيس ملكة سبأ، فحينما أرسلت بلقيس بهديتها إلى سليمان رد هديتها ونفى الفرح عن نفسه، ونسبه إلى أهل سبأ

ممثلين بالرسل الذين جاءوا بالهدية. قال تعالى: (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون النمل /٣٦٣٥).

إذا جازلنا أن نطرح سؤالا قلنا القول. لماذا سليمان (عليه السلام) الفرح عن نفسه بالهدية، ونسبه إلى أهل سبا؟ ولكي نجيب عن السؤال يتوجب علينا الرجوع إلى تاريخ ذلك الحدث، فحينما قررت الملكة بلقيس إرسال الهدية إليه فإن هدفها من ذلك كان كشف صحة ادعاء سليمان النبوة من عدمه ، فقالت : ((نرسل إليه بهدية فإن قبلها فهو سلطان يريد الملك ويجوز المقاتلة معه ، وإن ردها وأصر على طلب ما ظاهر من الدين فهو رسول إلهي ، وليس لنا أن نتقاتل معه) (٣١) ، وحينما حمل وفد الملكة الهدية إلى سليمان ، وفيها كل غال وثمين ، رأها وقال للذين جاءوا بها : ((دعوتكم إلى الله ، فأتيتموني بالمال ، وعندي منه الشيء الكثير كما رأيتم ، بل أنعم الله علي بما هو أعظم من المال، أنعم علي بالنبوة والعلم ، وتسخير الرياح والجن والطير . تقيسونني بأنفسكم في عبادة المال وتعظيمه ؟)) (٣٢) ، وبهذا نرى أن سبب عدم فرح سليمان (عليه السلام) بالهدية راجع إلى زهده بأمور الدنيا وزخرفها وزبرجها ، وعدم اكتراثه بما يقدم له من الهدايا ؛ لأن الله تعالى أعطاه كل شيء ، فزهد عن الهدايا الدنيوية، أما أهل سبا فهم كغيرهم من الناس يفرحون بالهدية ، فحينما يهدي أحدهم إلى الآخر هدية معينة فإن المهدى إليه يصاب بالفرح والحبور والفخر، لأن الإنسان يحب التفاخر في هذه الدنيا بما يهدى إليه ، في حين أن الأنبياء لا يحبون المفاخرة ، ولهذا السبب نفى سليمان (عليه السلام) هذا النوع من الفرح المذموم عن نفسه ، وهو الفرح بالهدية ؛ لأنه لا يناسب مقام النبوة ، ونسبه إلى أهل سبا ؛ لأنهم كبقية الناس يحبون زخارف الدنيا وزينتها. والله أعلم.

٢- الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود

ذكرنا فيما سبق إن الوحدات السيميائية التي تمظهر بوساطتها الفرح المحمود بلغت أربع وحدات وقد أشارت هذه الوحدات إلى فرح الشهداء والمؤمنين بما أتاهم الله من فضله ورحمته وخيره في الدنيا والآخرة. ومن الآيات التي أشارت إلى فرح الشهداء قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (آل عمران / ١٦٩-١٧٠). وهنا ،وفي هذا الموقف تتضح أهمية العلامة السيميائية (فرحين) ووظيفتها في سياق الآية الكريمة، فهي تظهر شعور الشهداء بالفرح الكبير ، فهم يعيشون الفرح الروحي بأدق تفاصيله بما آتاهم الله من فضله ولطفه ، وهذا في حقيقة الأمر – هو الفرح الحقيقي الذي يحسن الإنسان معه بالسعادة المطلقة ، السعادة التي لا تحدها حدود ، وبهذا فإن هذه العلامة (فرحين) لها وقع كبير في نفوس الشهداء، وفي نفس المتلقي لنص الآية ؛ لأنها تحرك عواطفه وأحاسيسه ومشاعره فيصبح متقبلا للنص القرآني ومتفاعلا معه ، ومتمنيا مصير الشهداء الذي ظهر عبر العلامة السيميائية (فرحين).

يشير سبحانه إلى فرح المؤمنين في سورة يونس إذ يقول : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يونس / ٥٨٥٧) ، فالآية الكريمة تأمر الناس بالفرح عبر الوحدة السيميائية (فليفرحوا المكونة من لام الأمر والفعل المضارع المجزوم بحذف النون ، فقد أظهرت هذه العلامة أمرا مهما ، إذ يأمر الباري سبحانه رسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول للناس ويأمرهم بأن يفرحوا بفضل الله الذي تفضل عليهم بالهداية وبرحمته التي رحم بها عباده فبذلك ، أي بكل واحدة منهما فليفرحوا فإنهما هما اللذان ينظمان الحياة السعيدة وينتهيان بالإنسان إلى سعادة الآخرة)) (٣٣) . وبذلك نرى أن الله تعالى يحث عباده على هذا النوع من الفرح المحمود عبر العلامة السيميائية فليفرحوا)، ومن هنا تبدو أهمية هذه العلامة إذ شكلت علامة بارزة في سياق الآية، وأظهرت الفرح الذي يرضي الله تعالى، وبذلك تكون حجة على الناس لكي يفرحوا الفرح العقلاني الذي ينالون به رضا الله تعالى، ولا يفرحون الفرح المذموم الذي تتحكم به الأهواء والنزعات الطائشة التي تخرج الإنسان عن طريق الإيمان والحق. وفي ذلك يقول صاحب تفسير المنار: ((إن الفرح بفضل الله وبرحمته أفضل وأنفع لهم مما يجمعونه من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام، والحرث، وسائر متاع الدنيا)) (٣٤). ويقول سيد قطب: ((فبهذا الفضل الذي آتاه الله عباده، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم من الإيمان فبذلك – وحده – فليفرحوا، فهذا هو الذي يستحق الفرح، لا المال، ولا أعراض هذه الحياة. إن ذلك هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من المطامع الأرضية والأعراض الزائلة)) (٣٥).

إن نظرة فاحصة إلى الوحدات السيميائية التي ورد فيها الفرح في القرآن الكريم تظهر لنا أن الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم تشير بأجمعها إلى فرح الدنيا غير المبرر، والذي يخرج الإنسان عن دينه وأخلاقه ، ويصيبه بالتكبر والغرور والطيش ، وبذلك يبعده عن جادة الحق التي أرادها الله له ، فقد ذم سبحانه وتعالى هذا الفرح عبر تمظهراته المختلفة في النص القرآني والذي أسلفنا الحديث عنه في الجزء الخاص بالوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم ولعل سبب اقتصار الفرح المذموم على فرح الدنيا غير المبرر – فيما نرى والله أعلم – أنه من غير الممكن للإنسان أن يفرح فرحا مذموما في الآخرة ، فالكافر لا يأتيه الشعور بالفرح مطلقا بسبب مصيره الذي سوف يراه في يوم القيامة ، وبسبب العذاب الذي سيقع عليه ، أما المؤمن فلا يمكن أن يفرح فرحا مذموما في الآخرة ؛ لأن فرحه سيكون جزاء لأعماله الصالحة التي عملها ، والتي سيكون ثوابها الجنة ، وبذلك سيكون فرحه من النوع المحمود ؛ بسبب فضل الخالق ورحمته له في ذلك اليوم الموعود ، ولما سيلقاه من نعيم وحبور في الدار الآخرة. من جانب آخر فإن ثلاثا من الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود أشارت إلى فرح الدنيا المبرر، وهو فرح المؤمنين بأنعم الله التي أنعمها عليهم وبفضله ومنه (٣٦) ، على حين أشارت علامة سيميائية واحدة إلى فرح الشهداء (٣٧) في الحياة البرزخية، وفي الدار الآخرة بما آتاهم الله من فضله وكرمه ، وهم

لم يكتفوا بفرحهم هذا ، بل إنهم فضلا عن فرحهم يستبشرون بالذين لم يدركوا منزلتهم ولم يلحقوا بهم ، وفي ذلك إشارة إلى فرحهم الغامر الذي يشعرون به ، فالإنسان المؤمن الفرح لا يكتفي بفرحه بل يبشر غيره به ويتمنى له نفس النعيم الذي حصل عليه. وبذلك يكون عدد الوحدات السيميائية الدالة على فرح الدنيا هو إحدى وعشرون وحدة ، في حين كانت وحدة سيميائية واحدة هي الدالة على فرح الآخرة ، وهو فرح الشهداء بمصيرهم الذي ينتظرهم عند ربهم.

السرور في القرآن الكريم:

السرور هو ((ما ينكتم من الفرح) (٣٨) وهو الفرح الشديد . ارتياح القلب إلى ما يحصل له من وقوع لذة أو اتقاء ضرر)) (٣٩) .

إن محاولة استكناه معنى السرور تدل على أنه نوع من الفرح ومظهر من مظاهره التي تظهر على الإنسان ، وقد ورد ذكره في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، كان في ثلاثة منها محمودا (٤٠) ، في حين كان في الموضع الأخير مذموما (٤١) .

١- الوحدات السيميائية الدالة على السرور المحمود

يرغب الله جل شأنه الأبرار في سورة الإنسان ويذكر صفاتهم، ويصور النعيم الذي سيحصلون عليه يوم القيامة في صور رائعة متساوقة بعضها إثر البعض . قال تعالى : (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسزورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (الإنسان / ١١-١٢). فمن صور النعيم الأخروي الذي سيحصلون عليه أن الله سبحانه سيقيهم شريوم القيامة وأهواله ، ويستقبلهم ويعطيهم نضرة في الوجوه، وسرورا في القلوب. إن العلامة السيميائية (سرورا تدل على فرح المؤمنين الأبرار وسرورهم في يوم القيامة ، ذلك السرور الأخروي الذي يحصلون عليه ؛ نتيجة لأعمالهم الحسنة في دار الدنيا ، ونتيجة لإنعام الخالق عليهم بأنواع من النعيم الأخروي ، منها أنه سوف يستقبلهم ذلك الاستقبال اللائق بهم، والذي يمنح وجوههم النضارة والإشراق ، ويمنح قلوبهم السرور والفرح الذي لا يعد له فرح ، ويجزيهم بما صبروا جنة فيها كل ألوان النعيم، ولباسا من الحرير الخالص الذي يوحي بمنتهى الرقة والجمال، وهكذا تتتابع الآيات لتسرد لنا ولتصف صور النعيم الأخروي الذي سيحصل عليه هؤلاء الأبرار.

يقابل سبحانه في سورة الانشقاق بين صورتين متباينتين ، صورة القيم الذي سيحصل عليه المؤمنون ، وصورة الحداب الذي سيصيب الكافرين ، ويبدأ بذكر النعيم ترغيبا للمؤمنين إذ يقول : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُور ا الانشقاق / ٩٧ فالآيات الكريمة تشير إلى جزاء الآخرة الذي ينتظر المؤمنين الصالحين ومن صور هذا الجزاء أن ينقلب المؤمن إلى أهله مسرورا فرحا لما حصل عليه في الدار الآخرة. إن الوحدة السيميائية (مسرورا) تبرز بشكل واضح في سياق الآيات ، وتسمو على الوحدات الأخرى، وتشكل خاتمة رائعة لسياق الترغيب الذي تمظهر في النص, فهي تشير إلى فرح المؤمن حينما يعطى صحيفة أعماله بيمينه ، للدلالة على صحة إيمانه وقبول

أعماله والنجاة من أهوال يوم القيامة ، وهذا الأمر مدعاة للتفاخر والسرور أمام أهل المحشر، وحينما توضع أعماله في الميزان الإلهي الذي لا يفوته شيء مهما صغر ، فإنه سبحانه و تعالى سييسر حسابه ويعفو عن سيئاته (٤٢) ، ثم بعد هذا وذاك فإن هذا المؤمن سينقلب إلى أهله مسرورا فرحا بما أعطاه الله من جوائز وهدايا ، ثوابا على طاعته. والمراد بالأهل في هذه الآية ((ما أعد الله له من الحور العين ، وقيل أهله أزواجه وأولاده وعشائره وقد سبقوه إلى الجنة (٤٣) ، ((وقيل المراد فريق المؤمنين وإن لم يكونوا من عشيرته فالمؤمنون أخوة)) (٤٤) . وهو بعمله هذا سيشرك أهله بسروره وفرحه ؛ لكي يفرحوا بالمنزلة التي حصل عليها ، وبذلك سوف يعم فرح المؤمنين المحمود وسرورهم في جنان الخلد بما أنعم الله عليهم من نعيم وخير كثير .

٢- السرور المذموم

قلنا فيما سبق : إن السرور المذموم ورد في موضع واحد في الكتاب العزيز ، إذ يقابل تعالى في سورة الانشقاق بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين فبعد أن ذكر وصور صورا مفرحة ورائعة لنعيم

المؤمنين ، فإنه يتبعها مباشرة بصورة مخيفة ومرعبة لعذاب الكافرين في ذلك اليوم المشهود ، إذ يقول تعالى : (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسنزورا) الانشقاق / ١٠-١٣) وهنا تبرز الوحدة السيميائية (مسرورا) لتشير ، عبر السياق الذي وردت فيه إلى نوع آخر من السرور ، إنه سرور مغاير تماما للسرور الذي ورد في الآيات السابقة إنه سرور الكافر بمباهج الدنيا التي غزته وأصابته بالبطر على نعم الله ، والغرور والتكبر على عباده ، فقد كان مغرورا بما كان له من قوة ومال وجاه وعدة وعدد ، ناعما بين أهله وإخوانه وأذنابه من أمثاله ، مسرورا بحاله ، بطرا بما يتمتع به من هدوء البال والنعم ولذات الدنيا وزخارفها ، ولا يخاف مما أمامه من سوء المصير الذي ينتظره ، فأعقب ذلك الفرح اليسير الزائل الحزن الطويل والغم الباقي الذي لا ينتهي ، لقد أبدله الله بسروره غما باقيا لا ينقطع ، وكان المؤمن مهتما بأمر الآخرة فأبدله الله بهمه سرورا لا يزول ولا يبيد) (٤٥) .

إن إنعام النظر في آيات سورة الانشقاق التي ذكرت النوعين من السرور ، سرور المؤمنين المحمود ، وسرور الكافرين المذموم، يظهر لنا أن الخالق تعالى عقد مقابلة رائعة، ومقارنة دقيقة بين سرور المؤمن وسرور الكافر ، فقد ظهر سرور المؤمن في الدار الآخرة بعدما حصل على ثواب أعماله ، في حين أن سرور الكافر كان مسيطرا عليه في دار الدنيا بحيث أخرجه عن الدين وعن الأخلاق والمثل العليا . وكما أن المؤمن كان مسرورا في أهله المؤمنين ومن معه من الحور العين في الآخرة ، فإن الكافر كان مسرورا في أهله الكافرين ومن هم على شاكلته في الدنيا . وبذلك نرى أن الوحدتين السيميائيتين مسرورا(الأولى و مسرورا) الثانية أشارتا بشكل دقيق لا لبس فيه ، وعبر السياق الذي وردتا فيه إلى هذين النوعين من السرور ، وبذلك فإنها انمازتا باحتلالهما موقعا حيويا ومركزيا مهما حمل أكثر من معنى ، كلا حسب السياق التي وردت فيه.

بعد هذا العرض للوحدات السيميائية الدالة على السرور في القرآن الكريم، وجدنا أن اثنتين من هذه الوحدات أشارت إلى سرور الدنيا ، صنفنا الأولى منها في صنف السرور المحمود إذ أشارت إلى السرور المباح بمنظر البقرة في سورة البقرة (٤٦) ، في حين أشارت الثانية إلى سرور الكافرين المذموم في سورة الانشقاق (٤٧) . أما الوحدتان اللتان أشارتا إلى سرور الآخرة فقد أظهرتا سرور المؤمنين المحمود يوم القيامة، وفرحهم بمصيرهم الذي ألوا إليه (٤٨) .

الخاتمة :

بعد هذا التأمل ، وهذه القراءة السيميائية لتمظهرات الفرح والسرور في القرآن الكريم ، كان لا بد لي من خاتمة أدرج فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي كما يأتي:

ظهر الفرح في اثنين وعشرين موضعا في القرآن الكريم . وقد أشارت هذه المواضع سيميائيا إلى نوعين من الفرح هما الفرح المحمود والفرح المذموم وبناء على ذلك فقد قسمت الوحدات السيميائة الدالة على الفرح قسمين رئيسين هما:

١- الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم.

٢-الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود .

بلغ عدد الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم ثماني عشرة وحدة ، وقد انقسمت هذه الوحدات على خمسة أقسام هي:

أ-الوحدات السيميائية الدالة على فرح الكافرين والمنافقين.

ب- الوحدات السيميائية الدالة على فرح الأمم السابقة.

ج -الوحدات السيميائية الدالة على فرح اليهود.

د- الوحدات السيميائية الدالة على فرح قارون.

هـ-فرح أهل سبأ

أما عدد الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود فقد بلغت أربع وحدات ، وقد أشارت هذه الوحدات إلى فرح الشهداء والمؤمنين بما آتاهم الله من فضله ورحمته في الدنيا والآخرة. من جانب آخر فإن الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المذموم أشارت بأجمعها إلى فرح الدنيا غير المبرر. أما الوحدات السيميائية الدالة على الفرح المحمود فقد أشارت ثلاث منها إلى فرح الدنيا المبرر ، وهو فرح المؤمنين بنعم الله الكثيرة التي أنعمها عليهم وبفضله وجوده ، في حين أشارت علامة سيميائة واحدة إلى فرح الشهداء في عالم البرزخ ، وفي الدار الآخرة بما أكرمهم الله من فضله ونعمه. وبذلك يكون عدد الوحدات السيميائية الدالة على فرح الدنيا إحدى وعشرين وحدة ، في حين كانت وحدة سيميائية واحدة تدل على فرح الآخرة. ظهر السرور في أربعة مواضع في القرآن الكريم كان في ثلاثة منها من النوع المحمود ، وكان مذموما في موضع واحد فقط ، وتبعا لذلك فقد قسمت الوحدات السيميائية في قسمين هما :

أ- الوحدات السيميائية الدالة على السرور المحمود .

ب السرور المذموم.

أظهرت وحدتان من الوحدات السيميائية الدالة على السرور المحمود سرور المؤمنين الأخروي يوم القيامة بالجزاء الأخروي ، وبالنعيم الذي سيحصلون عليه في ذلك اليوم الموعود ، وأظهرت وحدة سيميائية واحدة السرور المباح بمنظر البقرة ، وهو من السرور الدنيوي.

أشارت وحدة سيميائية واحدة إلى السرور المذموم في الدنيا وهو سرور الكافرين بمتع الدنيا الزائلة وزينتها ومباهجها ، وبذلك يكون عدد الوحدات السيميائية التي أشارت إلى سرور الدنيا وحدتين سيميائيتين وعدد الوحدات السيميائية التي أشارت إلى سرورالآخرة وحدتين سيميائيتين.

الهوامش

(١) ينظر: انفعالات النفس ، رينيه ديكارت ، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، ٥٠. ٥١ .

(٢) انفعالات النفس ، ٨٦

(٣) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكرا ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ ، ١٢ .

(٤) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٥) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ٢٦٥.

(٦) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط، ٢٠٠١ ، ١٧٧

(٧) حجم الخطابات في التراث يكشف حيوية البنى المعرفية مقابلة مع الناقد هيثم سرحان ، صحيفة الوسط البحرينية ع ٢٥٨٢ ، الخميس ١ / أكتوبر / ٢٠٠٩ ، ٩.

(٨) الدلالات المفتوحة : مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة أحمد يوسف، منشورات الاختلاف ، المغرب، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ٨٢

(٩) ينظر: سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم ، سائدة حسين محمد العمري ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م ٦٦.

(١٠) في القراءة السيميائية ، عامر الحلواني ، مطبعة التفسير الفني ، تونس ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ٢٩ ، نقلا عن سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم ٦٦.

(١١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ضبطه هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨ م ، ٣٩٠ .

(١٢) ينظر: القاموس المقارن الألفاظ القرآن الكريم، د. خالد إسماعيل علي ، مؤسسة البديل ودار المتقين، بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م ، ٢٩٩ .

(١٣) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق : أحمد حبيب نصير العاملي مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، ٥/٣٩٥ (١٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١ ، ١٤١٣هـ ١٥/٢٩١

(١٥) ينظر من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢ ، د.ت ، ٢٠/٨٨

(١٦) ينظر: الرعد ٢٦.

(١٧) ينظر: غافر ٨٣ ، الشورى ٤٨ ، الحديد ٢٣ .

(١٨) ينظر: التوبة ٥٠.

(١٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ت (٥٤٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د.ط، ١٣٧٩هـ ، ٤/٠٥٣٤

(٢٠) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر ، مير سيد علي الحائري ت ١٣٤٠هم) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران، د.ط، ١٣٧٨هـ ، ٩/٢٨٠

(٢١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، ٩/١٠١ ، وينظر مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر ، ٩/٢٨٠.

(٢٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٥/٢٩١.

(٢٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٤/٠٥٣٢

(٢٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٥/٢٩١ .

(٢٥) مختار القاموس ، الطاهر أحمد الزاوي ، الدار العربية للكتاب ، د. ط ، ١٩٨٣ ، ٥٧٠) (٢٦) ينظر: القاموس المقارن الألفاظ القرآن الكريم ، ٤٩٣.

(٢٧) ينظر: الأنعام ٤٤ ، المؤمنون ٥٣ ، الروم ٣٢ .

(٢٨) ينظر: مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، ٧/٢٨٨

(٢٩) ينظر: آل عمران ١٢٠ ، آل عمران ١٨٨

(٣٠) التبيان في تفسير القرآن . " ٧٥.

(٣١) بيان السعادة في مقامات العبادة ، سلطان محمد الجنابذي (ت ١٣٢٧هـ) مطبعة جامعة طهران، طهران، ط ٢ ، ١٣٨٥هـ ، ٣/١٧٢

(٣٢) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنيه، دار العلم للملايين بيروت، ط ٣ ، ١٩٨١ ، ٦/٢١. (٣٣) تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي مؤسسة الوفاء ، بيروت ، طا ، ١٤٠٠هـ ، ١١/١١٥.

(٣٤) تفسير القرآن الحكيم المعروف بر تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط ٢ ، د.ت ، ١١/٤٠٧

(٣٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) ، دار العلم ودار الشروق ، جدة ، ط ١٢ ، ١٤٠٦هـ ٣/١٨٠.

(٣٦) ينظر: يونس ٥٨ ، الرعد ٣٦ ، الروم ٤.

(٣٧) ينظر: آل عمران ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣٨) المفردات في غريب القرآن ٢٣٦.

(٣٩) القاموس الجديد ، علي بن هادية وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس د.ط، ١٩٨٨ ٤٦٦.

(٤٠) ينظر: البقرة ٦٩ ، الإنسان ١١ ، الانشقاق ٩.

(٤١) ينظر: الانشقاق٣ ..

(٤٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٠/٠٥٠

(٤٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٥/٤٦٠.

(٤٤) الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٣ ، ١٣٩٧هـ ، ٢٠/٣٦٠.

(٤٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٥/٤٦٠.

(٤٦) ينظر: البقرة ٦٩ .

(٤٧) ينظر: الانشقاق ١٣.

(٤٨) ينظر: الانسان ١١ ، الانشقاق ٩ .

قائمة المصادر والمراجع:

١–القرآن الكريم

٢–الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ.

٣– انفعالات النفس ، رينيه ديكارت ، ترجمة وتقديم وتعليق جورج– زيناتي ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، طا ، التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنيه، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٤١٣هـ

٤–بيان السعادة في مقامات العبادة ، سلطان محمد الجنابذي (ت ١٣٢٧هـ) مطبعة جامعة طهران ، طهران ، ط ٢ ، ١٣٨٥هـ.

٥–التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الاسلامي ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ.

٦– تفسير القرآن الحكيم المعروف بر تفسير المنار) ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط ٢ ، د.ت. الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م.

٧–تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

٨–الدلالات المفتوحة : مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، أحمد يوسف ، منشورات الاختلاف ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م. السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكرا ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥ م. في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت ١٣٨٦ هـ) ، دار العلم ودار الشروق ، جدة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ.

٩–القاموس الجديد ، علي بن هادية وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، د. ط ، ١٩٨٨ م.

١٠– القاموس المقارن الألفاظ القرآن الكريم ، د. خالد اسماعيل علي ، مؤسسة البديل ودار المتقين ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.

١١– مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ت (٥٤٨هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط ، ١٣٧٩هـ.

١٢–مختار القاموس ، الطاهر أحمد الزاوي ، الدار العربية للكتاب ، د.ط ، ١٩٨٣م.

١٣–مستويات السرد الاعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠١م.

١٤– المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ضبطه هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

١٥–مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، ميرسيد علي الحائري (ت ١٣٤٠هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران، د.ط ، ١٣٧٨هـ.

١٦–من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ، د.ت.

١٧–الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ.

الرسائل والأطاريح الجامعية

–سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم، سائدة حسين محمد العمري ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.

الدوريات

–حجم الخطابات في التراث يكشف حيوية البنى المعرفية ، مقابلة مع الناقد هيثم سرحان ، صحيفة الوسط البحرينية ، ع ٢٥٨٢ ، الخميس ١/ اكتوبر / ٢٠٠٩.